ولكنها تقع أخيراً في أحضان المكروه، والنظارة السوداء التي وضعتها سداً يمنعها من النظر إليهم تكسرت أخيراً إذ لم تستطع الصمود أمام عيني عماد، وهما عينان صارتا قدراً نهائياً للمرأة / الرجل. وصارتا عنوان الحكاية وعنوان الكتاب: عيناك قدري.

هي جملة قالتها الأستاذة طلعت واتخذتها غادة السمان علامة وعنواناً على كتابها.

هل معنى هذا أن المرأة قد دخلت في معركة خاسرة.. أم أنها لم تكن تحارب سوى نفسها...؟

نقرأ في الحكاية هذا الجواب:

(لقد انتصرت في أن تهزمي نفسك.. قضيتك منذ البداية كانت فاشلة.. نصرك فيها أعظم فشل.. أنت فاشلة كبيرة أيتها المرأة الرجل - ص 14).

هذه المرأة التي فرت من أنوثتها وتعالت على حاجة الجسد المؤنث وشروطه تنتهي أخيراً مكسورة مثل نظارتها السوداء. وهذا نموذج نسوي يتكرر عند غادة السمان، وفي حكاية (لا بحر في بيروت) تفر المرأة من دمشق باحثة عن حرية مثالية تجد فيها بحراً أسطورياً تراه بخيالها وتحلم به، ويحذرها حبيبها أمين قائلاً لها أن لا بحر في بيروت، ولكنها تهزأ منه وترحل نحو الحلم والحرية، وبعد عناء وانكسارات ومجموعة من الخيبات المتلاحقة ينتهي بها الأمر أن تقول بأن (لا بحر في بيروت).

وجملة (لا بحر في بيروت) هي في الأصل كلمة الرجل وقراره، وتصبح أخيراً كلمة المرأة وقرارها وعنوان حكايتها وكتابها[26] أي أن لغة الرجل وفكره وما تتضمنه اللغة من مضامين ودلالات هي بالتالي لغة

(26) غادة السمان: لا بحر في بيروت 157-128. دار الآداب، بيروت 1975.